التراث العربي في كيرالا

منير جيليمبرا
طالب، الجامعة النورية العربية

لقد بدأ تاريخ التراث العربي في كيرالا منذ ان أرست فى سواحلها سفن العرب و بزغ على ربوعها فجر الاسلام فى أوائل القرن الأول الهجري. و هذه العلاقة التاريخية تسببت لتفتح أزهار الصداقة و المودة بين كيرالا و بلاد العرب و ساعدت على نشوء ثقافة إسلامية و بيئة عربية فى أنحاء كيرالا عامة و في ديار مليبار خاصة. و كان ذلك قبل انتشار الاسلام فى شمال الهند بواسطة الاتراك و الأفغان.

و هذا بفضل الظروف المميزة لهذه المنطقة حيث يوجد فى شرقها أنواع كثير من التوابل مثل الفلفل و الهيل و الزنجبيل التي تصدر إلى البلاد الأجنبية و كان التجار العرب يقبلون عليها جلبا لهذه الأمتعة الثمينة.

و كان بجانبهم الأتراك و المصريون و اهل الحبشة و الفرس و رجال الصين الا أن العرب كان فى ايديهم زمام التجارة البحرية منذ القرن الرابع عشر الميلادي و قد ساعدهم على ذلك الموقع الجغرافي لمنطقة كيرالا . و مما يذكر أن التجار العرب كانوا ينزلون فى شواطئ مليبار أثناء سفرهم الى الصين و اندونيسا فى عصر سليمان عليه الصلوة و السلام . و مما لا يخفى على أحد الواقعة التي جرت فى عهد الملك شيرمان بيرماض من ارتحاله الى حضرة النبي صلى الله عليه وسلم و إسلامه وما حدثت بعده في كيرالا من الحركات الاسلامية. ولا شك فى أن هذه النقط التاريخية تشير الى عماقة التراث العربي و انتشاره فى كيرالا. وعلى كل ذلك قد طابت أطراف كيرالا و أرجائها بقدوم السادات الدعاة و العلماء المهرة الذين نيروا طرق نموها بالتعاليم الاسلامية و الرسالات النبوية الشريفة.

و كان نمو اللغة العربية فى كيرالا بداية حياة جديدة إيمانية حيث عظمها المسلمون و اعتبروها غاية الاعتبار و ذلك لأنها لغة الاسلام و لسان القرآن الكريم. و كذلك

عربي – مليالم التى سهلت العربية و تعاليمها بين مسلمى كيرالا و كانت وسيلة لغوية قربتهم الى الدين و أحكامها و الشريعة و قواعدها. و باستخدامها شيد علماء كيرالا قلوب الأمة المسلمة و أكدوا مشاعرهم الدينية و حسنوا أفكارهم الروحية. و قد نشأ في كيرالا أثناء هذه القرون كثير من العلماء و الحذاق الذين منحوا لهذه اللغة و آدابها مواهب علية و عطايا جلية وبذلوا لتقدمها أقصى جهودهم و أتم مساعيهم. و كان المساجد و الدروس مسارح ارتفاع العربية و آرحاء الحياة الاسلامية و ثقافتها فى زوايا كيرالا و نواحيها مدى الأجيال و القرون. و قد أثرت المساجد و دروسه فى شعب كيرالا تأثيرا دينيا و اجتماعيا وذلك لأن أئمة المساجد و قضاتها كانوا قادرين على تربية الامة و ارشادهم و متأهلين لزعامة الناس و سيادتهم.

مواهب أهل كيرالا فى الآداب العربية

ومما يستحق الذكر أن العلماء في كيرالا قدموا للغة العربية و دعايتها مواهب أدبية من انواع التصنيفات و التآليف و قد تدخلوا فى معظم جوانب الآداب العربية و العلوم الدينية مثل التجويد و الفقه و التصوف و التاريخ و علوم اللغة و الفلسفة و الشعر. وجميع مصنفاتها لم ينشر الا أن نسخاتها الخطية توجد عند بعض الأشخاص . و نذكرهنا بعضا منها.

الفقه

وقد ألف في الفقه كثير من الكتب و من أشهرها ما ألف الشيخ أحمد زين الدين بن محمد الغزالي باسم "فتح المعين بشرح قرة العين". و هذا الكتاب المؤلف على المذهب الشافعي يحتوي على معظم المسائل الدينية و الأحكام الاسلامية. وقد أقره عديد من الجامعات الاسلامية و المعاهد الدينية كتابا دراسيا. ولفتح المعين شروح مفيدة منها إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين "للسيد أبي بكر بن عارف السيد محمد شاه و "ترشيح المستفيدين على حاشية فتح المعين " للسيد علوي الثقاف و " تنشيط المطالعين على حاشية فتح المعين "لعلي بن عبد الرحمن التانورى. و من المعروف ما وصف المولوي فريد بن محي الدين البريري عن فتح المعين بشعره و منه ما يلي :

فتح المعين كتاب شأنه عجب حوى من الفقه مالم يحوه كتب

وكذلك "مقاصد النكاح " الذي صنفه القاضى عمر البلنكوتى و " الفرائض الملتقطة" للقاضي محمد بن عبد العزيز الكاليكوتى و " ألفية فى الفرائض "لأحمد البروري و "كشف الغوامض في علم الفرائض " لعبد الله بن أحمد الفناني و "هداية القوم على رسالة الصوم"للعالم المشهور أبي بكر مسليار الككديبرمي و" الفتاوى الأزهرية" لأحمد كويا الشالياتي و"عقد الفرائد" للسيد فضل بن السيد علوي المنفرمي و"ماذا وظيفة الفقهاء"لوي. يو.ميران كوتي مسليار.

التجويد

ولم يؤلف في علوم التجويد في كيرالا إلاّ تصانيف معدودة مثل قصيدة في موانع الأوقاف " للقاضي أبي بكر كنجي الكاليكوتي و"تجويد القرآن" لشجاعي ميدو مسليار المتوفى ١٢٧٥هـ و"الرسالة الغراء في حيلة القراء" لمولوي كنجين بن مريكار و"النبراس لمن وقع في ظلمة الترقيق" و"شرح بسملة" لمحمد بن علي الفناني المتوفى سنة ١٣٤٤هـ وكتابه هذا شرح طويل في ذكر البسملة وكلماتها وفضائلها وله تأليف آخر باسم "حاشية التحفة".

التصوف

وركز الكيراليون عنايتهم في تآليف التصوف أكثر مما اهتموا بسائر الأدبيات وكل من يطالع المؤلفات العربية للكيراليين يمكن الإطلاع على أوصاف إيمانية وشعور روحي حيث إن معظمها خلقت تحت ظلال القرآن والسنة النبوية الشريفة وصدرت عن آثار الأولياء والصالحين . وهنا نذكر بعضها.

"هداية الأذكياء إلى طريقة الأولياء" للشيخ زين الدين بن علي المعبري و"إلى كم أيها الإنسان " للقاضي عبد العزيز و"قصيدة في بيان التصوف" و"قصيدة في بيان الفقير" للشيخ ابن محمد الجفري وهو عالم ولد بتريم بقرب حضر موت ولما وصل إلى كاليكوت عرفه القاضي محيي الدين للملك ساموتري فاستقبله استقبالا حارا وأعد له ما احتاج إلى الإقامة في كتيجرا وفي قصيدته في بيان التصوف يبين ويوضح ما يحافظ الصوفية على حياتهم وأعمالهم ويفصل فيه مقاصد الحروف في كلمة"تصوف" بقوله أن التاء تشير إلى التوكل والتقية والتفقه والتعبد والتجرد بالله والصاد تشير إلى صدق الوعدة والصفح والصبر والصفو والصلاة والصيام ،

والواو تشير إلى الوضوء والوجل والورد والفاء إلى الفصل والفرار والفناء . ومما صنف في التصوف "سراج القلوب وعلاج الذنوب" لزين الدين بن علي و"عمدة الأصحاب ونزهة الأحباب " للقاضي زين الدين رمضان بن الشيخ شرف الدين موسى و"كنز البراهين " للشيخ ابن محمد الجفري و"تصليك الدواب إلىطريق الصواب لفضل بن علي.

وبعض ما صنف في التصوف يشتمل على النصائح والعظات مثل " مرشد الطلاب" للشيخ زين الدين بن علي و"إرشاد العباد" لصاحب فتح المعين و"ذخائر الإخوان في مواعظ شهر رمضان" لأحمد بن زين الدين المخدومي و" تحفة الواعظين " لقادر كوتي مسليار الفناني.

الموالد والمناقب

ومن الجدير بالملاحظة الآداب التي قدمها الكيراليون في الموالد والمناقب عبر القرون . وهي تشتمل على المدائح والأوصاف عن الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضي الله عنهم وغيرهم من الرجال الصالحين.

ومن الموالد المصنفة في كيرالا عن النبي صلى الله عليه وسلم ما كتبه القاضي أبوبكر بن القاضي محيي الدين باسم "تنوير الفؤاد" وفيه يوضح أوصافه صلى الله عليه وسلم ويبين أهمية آله وأهل بيته. ومن أشهر الموالد "المولد المنقوص" للشيخ زين الدين بن علي . وهذا معروف جدا في كيرالا حيث يمتاز من سائر التصنيفات في هذا الفن بأسلوبه الجميل وكيفيته الجذابة . وكذلك "موالد النبي" و"موالد المهملات والمعجمات" لمحيي الدين بن كنج محيي الدين و"مولد النعمة مختصر مولد الرحمة " لمحمد بن حسن المشهور بـ أركل محمد حاجي و"مولد النبي" لأبي الرحمة محمد الفيئي.

ومما ألف في مدح الصحابة مولد" حمزة بن عبد المطلب" لعبد الله كوتي مسليار و"مولد أبي بكر الصديق" لكنجي باوا مسليار الفناني و"مناقب علي بن أبي طالب" لمحمد مسليار الفناني . ومن الموالد عن الأشخاص الكرام " الفيض الساري في مناقب السيد محمد البخاري " للسيد محمد بن السيد إبراهيم البخاري. وهذا المولد يلقي الضوء إلى تاريخ السادات المنسوبين إلى البخارى. ومنه "مولد السيد علوى

بن محمد " لفريد بن محي الدين ومناقب السيد علوي بن محمد لأحمد كوتي مسليار المتوفى١٣٦٥هـ ومناقب "النفيسة المصرية" لإبراهيم كوتي مسليار المتوفى سنة ١٣٢٣هـ. و"مولد أحمد الكبير الرفاعي" لأحمد بن محمد الشاذلي الشيرازي و"مناقب الشيخ محمد الكاليكوتي " لأحمد كويا الشالياتي و"مولد شهداء جيرور" لبابو مسليار و"فيض النعيم" لمولوي محمد و"مناقب أبي بكر بن عبد الغفار"لمحمد عبد الكمال ومولد الشيخ فريد بن عز الدين لمولوي كنجامو المتولد سنة١٣٣٤هـ.

الفلسفة وعلم الكلام

ولم يقدم في الفلسفة وعلم الكلام إلا كتب قليلة من جانب الكيراليين .منها "حلل الإحسان لتزيين الإنسان " لفضل بن علوي وهذا كتاب مختصر لـ "أدب الدنيا والدين" للإمام الماوردي. ولفضل بن علوي كتاب آخر بعنوان "بوارق الفطانة لتقوية البطانة"

وصنف في هذا الموضوع القاضي عمر بن علي كتابا بعنوان "نفائس الدرر" وهذا كان مما يدرس في الدروس. وكذلك"جامعة الفوائد" لأحمد البروري و"جواهر القلوب في اعتقاد أهل السنة المطلوب" لكنج بوكر بن خاجا . وقد نشر هذا الكتاب من فناني سنة ١٣٥١هـ.

التاريخ

إن التصانيف في التاريخ التي ألفت في كيرالا تتعلق بالمعركة الاستقلالية الهندية والجهاد ضد البرتغاليين والإنجليزيين حيث يرى فيه الغيظ والمعارضةخلاف السلطات الغربية. وفي بعضها يبحث عن أحوال كيرالا عامة وديار مليبار خاصة .ونذكر هنا بعض الكتب ، منها:

"تحريض أهل الإيمان على جهاد عبدة الصلبان" الفه الشيخ زين الدين بن علي المعبري وهو الذي أسس المسجد الجامع بفناني. وفي هذا الكتاب يفصل وحشيات البرتغاليين ومفاسدهم الدنيئة. وقد شاهد زين الدين بن علي تلك الحوادث والواقعات وطلب من المسلمين والملوك أن يجاهدوا الأعداء ويقاوموهم بكل وسيلة. وكذلك كتاب"تحفة المجاهدين في بعض أحوال البرتغاليين" للشيخ أحمد زين الدين بن محمد الغزالي يصور فيه أعمال الأعداء الكفار وشرورهم مع ما يحرض فيه

المسلمين على مكافحتهم ومخالفتهم . ويفصل المؤلف في بابه الأول فضائل الجهاد وثواب المجاهدين مع دلائل القرآن والأحاديث الشريفة. ومن الجدير بالذكرأن" تحفة المجاهدين" قد لعبت دورا مهما في الأدب العربي في كيرالا وأسلوبها كما أنها ساعدت على تنظيم تاريخها وتصوير حقائقها الماضية للباحثين والمؤرخين . وألف القاضي محمد بن القاضي عبد العزيز قصيدة بعنوان"الفتح المبين".

ونجد مؤلفات أخرى فيما يتعلق بالتاريخ مثل "خلاصة الأحباب في سيرة النبي المختار" لعلي بن فريد الكجنوري و"رسالة السعادة الأبدية" في أسماء الصحابة البدرية لـ أبي بكر مسليار الككد يبرمي و"عدة الأمراء والحكماء لإهانة الكفرة وعبدة الصلبان" لفضل بن علي.

علم اللغة

وفي علم اللغة أيضا ألفت عدة كتب من جانب الكيراليين ونذكر منها بعضا . "شرح ألفية ابن مالك" و "شرح تحفة ابن الوردي" للشيخ زين الدين بن أحمد المعبري و"شرح قطر الندى" للشيخ عثمان بن جلال الدين و"حاشية التحفة" لمحمد بن علي الفناني و"نظم العوامل" و"نظم الأجناس للقاضي محمد صاحب الفتح المبين والعرب والعربية وتاريخ النحو وتطوره للسيد عبد الرحمن العيدروسي الرئيس السابق لجمعية العلماء لعموم كيرالا.

الأشعار

إن في مجال الشعر مواهب ثمينة وعطايا ممتازة التي قدمها الأدباء الكيراليون الذين اشتركوا في مختلف جوانب الشعر العربي مثل التهاني والمراثي وغيرهما . وكان القاضي عمر البلنكوتي أعظم أشهر الشعراء في كيرالا. ومن اشعاره صلى الإله.. ، وعم البشرى، ولاح الهلال، ونبي نجي . وكذلك مصابيح الكواكب الدرية لصدقة الله القاهري وبحر الندى وسلام على أم القرى للقاضي محيي الدين الكاليكوتي ومرثيةعلى الشيخ ابن محمد الجفري لمحيي الدين بن علي ومرثية على السيد علوي المنفرمي لمحيي الدين البريري ومثية على القاضي محيي الدين بن علي لابنه القاضي أبي بكر كنجي ومرثية على القاضي عمر بن علي لمحي الدين فريد ومرثية على السيد أحمد الجفري لأحمد كويا الشالياتي ورثاء على عبد الرحمن البافقيه للسيد

عبد الرحمن العيدروسي. ومرثية على عبد الله مسليار البانغي للسيد على كوتي مسليار.

وبالجملة أن العلماء الكيراليين قد منحوا خدمات عظيمة للأدب العربي وتطورها وبذلوا أتم مساعيهم وأكمل جهودهم لانتشاره وارتفاعه وأناروا بمهارتهم تاريخ كيرالا وثقافتها الممتازة حيث سجلت في سجل التاريخ صفحات مشرقة . وكان أسلافنا العلماء في كيرالا جمعوا بين الدعوة الدينية والخدمة الوطنية والدعاية الأدبية العربية ولكن الأجيال الذين جاؤوا بعدهم لم يستطيعوا أن يستمروا على هذا التراث العربي وأن يحافظوا عليها ولم يقدموا لنموها ما طلب منهم العصر والزمان .فعلينا أن نجتهد لتكملة هذا الفراغ الكبير. وفقنا الله لدعوة دينه وخدمة لسان كتابه.

